التدخل الأمريكي في العلاقات العراقية السورية

م.م. سميرة شعلان
أ.د. عبد الله حميد العتابي

المقدمـــة :

إنّ التغير الكبير الذي حصل في نظام الحكم في العراق بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣ ، لم يغير الأوضـاع الداخلية في العراق فحسـب ، ،ولم يكتف بقلب المعادلة السـياسـية في الداخل ، وإنما تعدى ذلك ليغير الكثير من ملامح السـياسـة في المنطقة ، ويغير التوازن الإقليمي بشـكل غير طبيعي ، كما أن التغيرات امتدت لتشـمل العلاقات الدولية في المنطقة عموما ، وعلاقات العراق الدولية على وجه التحديد ، ونخص بالذكر علاقات العراق مع دول الجوار ولاسيما العلاقات العراقية مع الجمهورية العربية السورية.

احتلت سـوريا طوال العقود الثلاثة الماضـية وبسـبب موقعها الجغرافي ودورها السياسي ، موقعاً متميزاً يفوق قدراتها الاقتصادية والبشرية ، وهي بذلك تعاملت بفعالية مع الكثير من الملفات الإقليمية لتعزيز مكانتها الإقليمية. ولكن مشكلة سوريا الرئيسية تكمن في التغيرات الإقليمية والدولية حول هذه الأوراق وتحولها من مصـدر قوة إلى عبئ كبير ، لا بل أحيانا إلى تهديد لها ، الأمر الذي بات من الضـروري إدراكه من سـوريا ومعرفة كيفية التعامل معه ، ولا سيّما أن النظام الدولي لم يعد يسمح لدولة بحجم سوريا أن يكون لها دور سياسي فاعل خارج حدودها ، أو خارج إطار المنظومة الإقليمية لها.

مما لا شكّ فيه إن مسار أي علاقة ثنائية بين طرفين لابد أن يكون له جذور تاريخية وإذا ما استطلعنا مسار العلاقة بين سوريا والعراق نجدة قد تميزت في خليط من الخلافات والتعايش المتبادل التي كانت الصـفة المميزة للعلاقات ، فضـلا عن الصـراع التقليدي بين سـوريا والعراق في محاولة الهيمنة على الشؤون العربية.

التدخل الأمريكي في العلاقات العراقية السورية

أكدت الاســـتراتيجية الأمريكية الجديدة التي تبنتها بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ ، على محاربة الإرهاب وقد وجدت أن الهيمنة العسكرية في منطقة الخليج العربي ضـرورة في زمن الحرب البـاردة . لمـا تتمتع بـه هذه المنطقـة من مقومـات الجذب الاقتصـــادي والسـياسـي[1]. حيث اهتمت الإدارات الأمريكية بمجابهة التهديدات المباشـرة للأمن القومي الأمريكي ، وبسـبب التطورات التي أصـابت واقع مركزها النفطي وتنامي حاجتها إليه ، إذ أســـهم هذا العامل بدور كبير في توجه الولايات المتحدة الأمريكية لمنطقة الخليج العربي ، ومن ثم احتلال العراق في عام ٢٠٠٣ ، وأصـبحت مسـألة الوجود العسـكري على درجة كبيرة من الأهمية لتشرف مباشرة على مصالحها في المنطقة.

بعد أن أصـــبح العراق تحت ســـلطة الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش أن العراق أصبح بلدا محتلا فقد استصدرت الولايات المتحدة قرارا من مجلس الأمن بالرقم (١٤٨٣) في عام ٢٠٠٣ لتضفي الشرعية الدولية بإطارها الشكلي على احتلالهـا العراق[2]. وقـد واجهـت الولايـات المتحـدة بعـد احتلال العراق جملـة من الصعوبات التي برزت على مستوى الداخل العراقي وفي مقدمتها البيئة الأمنية، التي ساءت بعد مدة قصـــيرة من الاحتلال الأمريكي. وقد عانى الشـــعب العراقي من الدعم الخارجي للإرهاب والذي كان يســـتهدف الوجود الأمريكي فيه، والذي عدته الولايات المتحدة بمثابة التحدي الوجودي لها في المنطقة ، لهذا ســعت كل من الولايات المتحدة والعراق في تكليف الدعوات الدبلوماسية لمنع سوريا أن دعم المتمردين في الداخل العراقي[3].

وقد ســعت قوات الاحتلال الأمريكي والقوى الســياســية العراقية إلى العمل بالنظام الديمقراطي للحكم عبر خطوات رسمت للانتقال إليها ، إذ إن المجتمع العراقي يتسم بالتنوع والتعدد ولا يمكن حكمه قسريا [4].وهذا التحول الديمقراطي كان سبب وراء تزايد العمليات الإرهابية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، ولاســـيّما أن العراق محاط بدول لا تتبنى النهج الديمقراطي ، وترى في التغيير الذي طرأ في العراق على أنه يهدد مصـــالحها وســياســتها بالدرجة الأولى[5].

لا يمكن الحديث عن انفجارات **(يوم الأربعاء الأســود)**[6] دون التوقف عند محطات العلاقات العراقية السورية، وقبيل زيارة السيد رئيس الوزراء لسوريا في 20 آب 2007، أعلن مسؤول عراقي أن رئيس الوزراء سيحث الرئيس الأسد على اتخاذ إجراءات للتصدي لما يقول إنه تدفق للمقاتلين والأسلحة. عبر الحدود، وصرح المصدر نفسه :**" أن التهاون في مراقبة الحدود أمر غير مقبول... المســـلحون يســـتخدمون بعض الطرق التي كانت المعارضـــة العراقية تســـتخدمها لتهريب الأســـلحة خلال عهد صـــدام"**[7]. وتصـــدر الملف

الأمني زيارة رئيس الوزراء، فقد قال المتحدث باسم الحكومة العراقية علي الدباغ:" لا شك أن الملف الأمني سيكون هو الطاغي"[8].

وخلال لقاء السيد رئيس الوزراء بالرئيس بشار الأسد. أكد الأول على ضرورة توحيد المواقف. لحل المشاكل وإقامة شبكة من العلاقات الجيدة بين البلدين، وأوضح رئيس الوزراء للرئيس السوري أن بغداد تتفهم الضغوط التي تواجهها دمشق، كان رد الأسد بتأكيده على" أن سوريا مستعدة لبذل كل ما بوسعه لمساعدة عراق مستقر"[9].

كان رئيس الوزراء واضحاً خلال زيارته لدمشق إن زيارته لدمشق فتحت صفحة في العلاقات بين دمشق وبغداد بعدما تعرضت في السابق للاهتزاز في ظل النظام السابق، والواضح أن السيد رئيس الوزراء قد ربط العلاقات الاقتصادية بالتعاون الأمني إذْ أشار إلى أن **"الاقتصاد يعد المحرك الأساسي لكل العمليات الأخرى، لكن تنمية الاقتصاد تواجه تحديات بسبب غياب الأمن والإرهاب"** وأكد رئيس الوزراء خلال تلك الزيارة على **"ضرورة التعاون في مجال الأمن والإرهاب بجهد مشترك".**[10]

كان شرط سوريا للاستجابة لنداء رئيس الوزراء بتحجيم دخول الإرهابيين إلى العراق عبر الحدود السورية، قد أفصح عنه نائب الرئيس السوري خلال لقائه السيد رئيس الوزراء :**" أن سوريا مستعدة للتعاون إذا أظهر رئيس الوزراء موقفاً عراقياً يقود إلى مصالحة تامة،ووضع جدول لانسحاب القوات الأمريكية "**[11].

وعلى أية حال، فقد أجاب رئيس الوزراء إن جدولة الانسحاب مسألة ثنائية تبحث بين بغداد وواشنطن. واتهم رئيس الوزراء السوري محمد ناجي عطري[12] الولايات المتحدة باحتلالها العراق **"قد جلب قوات التطرف وأشعلت دورة العنف"**[13].

حيال ذلك، أكد رئيس الوزراء حرص بلاده على تطوير علاقات التعاون بين البلدين وأهمية تعاون دول الجوار مع الحكومة العراقية، بما يؤدي إلى تحقيق الأمن والاستقرار الذي يحتاجه الشعب العراقي لتجاوز الظرف والأوضاع التي يمر بها[14].

في حين اعتقد المستشار الإعلامي لرئيس الوزراء في ضوء تلك الزيارة أن نظام الحكم في سوريا قد اتخذ قراراً نهائياً باتباع كل الوسائل، لاستغلال ما يجري في العراق ، كورقة مقايضة مع الولايات المتحدة لفك العزلة عن سوريا بعد اغتيال رفيق الحريري، وتحويل العراق الى رافعة سياسيا لاستعادة الدور الإقليمي المفقود في سوريا.[15]

قدر تعلق الأمر بموقف الولايات المتحدة الأمريكية من تلك الزيارة، فقد صرح غوردون جوندرو الناطق باسم مستشار الأمن القومي الأمريكي **"إن البيت الأبيض يتوقع أن ينقل رئيس الوزراء العراقي رسالة قوية الى دمشق بشأن منع تسلل المسلحين إلى**

العراق عبر الحدود مع سوريا". وارى من المناسب التوقف عند وثيقة أمريكية[16] سلطت الضوء على مقالات لمحللين في الصحافة السورية، فعلى سبيل المثال، اتهم الصحفي عمر جفنالي بأن **"الاحتلال الأمريكي سبب مأساة العراق، وكل العراقيين وليس دول الجوار، كما يدعي الاحتلال"** واتهمت الولايات المتحدة بأن سوريا نُكِبت **"بشدة من التدهور الأمني في العراق"**، وبرر ذلك باستقبال الشعب السوري لمليوني نازح عراقي، فضلاً عن استئنافها العلاقات الدبلوماسية التي عدّها عمر جفنالي منة من الحكومة السورية على العراق، واختتم المقال بالكتابة **"مما لا شك فيه، أن سعي الأشقاء العراقيين لجدولة انسحاب قوات الاحتلال، وصولاً إلى الإزالة الكاملة لهذا الاحتلال، وتحقيق مصالحة سياسية لا غنى عنها لتعزيز قدرة الشعب العراقي على مواجهة الظروف الصعبة يشكل أساس قوي لعراق المستقبل الموحد داخل أسرته العربية"**[17].

وفي مقال آخر اعترف علي قاسم **"أن سوريا أعلنت منذ البداية موقفها ضد احتلال العراق، وحددت بوضوح التحديات الصعبة التي ستواجهها المنطقة نتيجة الاحتلال"**، والمضحك ،إن هذا الصحفي يملي على رئيس الوزراء العراقي **"إعادة ترتيب المعادلة في ضوء القراءة السورية للوضع العراقي"**. ويجزم **"أن هذه القراءة تقدم الصيغ الحقيقية التي تضمن وحدة العراق واستقراره ويحافظ على استقلاله ووجوده"**، ويبرر طروحاته **"إن رئيس الوزراء العراقي يواجه كل أنواع التحديات، ويتعرض لضغوط هائلة من إدارة الاحتلال، يدرك هذهِ هي الحقيقة"**[18].

أما الصحفي إبراهيم الدراجي فقد اتهم الأمريكيين بإثارة الفوضى على الحدود العراقية السورية، وكتب في صحيفته:**" في الآونة الأخيرة وقعت بعض الحوادث على الحدود السورية العراقية إذ تعمد الأمريكيون المشرفون على الحدود من الجانب العراقي نشر الفوضى وخلق الأزمات في العراق"** واستنكر الدراجي اتهام الأمريكيين للحكومة السورية علناً بعدم التعاون للسيطرة على الحدود، وتحميل سوريا مسؤولية فشل كل السياسات والخطط الأمريكية في العراق، وطالب الصحفي من المسؤولين الأمنيين لحكومته بشرح عدم تعاون الأمريكيين مع الجانب السوري للسيد رئيس الوزراء ،والمشاكل الأمنية والإنسانية التي يخلّفها هذا النقص في التعاون لسوريا التي لها الحق في الشكوى عدم التعاون معها للسيطرة على الحدود. وأضاف الدراجي :**" نتمنى أن يطلع رئيس الوزراء على كل الجهود التي تبذلها سوريا للسيطرة على الحدود، بما في ذلك التعاون مع المنظمات الدولية مثل المنظمة الدولية للهجرة، لاستقدام الخبراء والمعدات لتحديد نقاط الضعف وتعزيز القدرة على اكتشاف الوثائق المزورة"**. وادعى أن أكثر من مئة هجوم تعرضت له الحدود السورية من داخل الأراضي العراقية، وأسفر عن مقتل ستة جنود سوريين وجرح سبعة عشر آخرين[19].

ركز الصحفي سعيد مسلم في مقالته على تأكيد قادة عسكريين بريطانيين على أهمية انسحاب القوات البريطانية من العراق، وجاء في مقالته **"أن الانسحاب البريطاني المحتمل يزعج صقور الإدارة الأمريكية"**[20].

فسر مسلم طلب الولايات المتحدة الأمريكية من الرئيس الفرنسي ساركوزي (Nicolas Sarkozy)[21] حليفها الجديد إرسال وزير خارجيته برنارد كوشينار[22] إلى بغداد، والهدف هو إظهار إن الحلفاء يتزايدون أو على الأقل التعويض عن انسحاب حزب رئيسي من الميدان، لكنهم في وهم كبير، إلى أن تآمر القوات البريطانية بالمغادرة، سيبقى قيصر البيت الأبيض مسؤولا بترتيب ولاء آخر حلفائه[23].

هاجم الكاتب حيدر دعوة الرئيس بوش لاجتماع سلام في واشنطن. إذْ وصفه الكاتب بأنها :" تظهر مقدار المناورة في الجهود الحثيثة التي تبذل لترتيب الوضع في العراق على أساس المصالح الأمريكية والإسرائيلية، دون مراعاة مصالح شعوب المنطقة وتطلعاتها لسلام عادل ودائم وشامل على أساس قرارات الأمم المتحدة[24].

رافقت زيارة رئيس الوزراء العراقي لدمشق هجوما غير مسبوق ففي مؤتمر صحفي على هامش القمة الكندية التي جمعت الرئيس بوش مع الرئيس المكسيكي ورئيس الوزراء الكندي مونتيبللو في 23 آب 2007 صرح الرئيس بوش :"إنه يحمل خيبة أمل بالقادة العراقيين، لكنه أردف إن الناخبين العراقيين هم الذين يقررون استبدال رئيس الوزراء نوري رئيس الوزراء"، وأضاف "ولكن السؤال الأساسي هو :هل ستستجيب الحكومة لمطالب الشعب؟ وإذا لم تستجب الحكومة لمطالب الشعب، فإن الشعب سيغير الحكومة واتخاذ هذا القرار يعود للعراقيين وليس للسياسيين الأمريكيين"[25]، في الوقت نفسه صرح السفير الأمريكي في العراق ريان كروكر إن التقدم السياسي في العراق "مخيب جدا للآمال"[26].

كان الهاجس الأمني السبب الأساسي لزيارة رئيس الوزراء نوري رئيس الوزراء الثانية لدمشق. وقد سبق تلك الزيارة تصريح السيد علي الدباغ الذي برر تلك الزيارة بحل مشكلة تسلل الإرهابيين الأجانب إلى البلاد.[27] في حين أعترف السيد صادق الركابي، المستشار السياسي لرئيس الوزراء، أن زيارة السيد رئيس الوزراء إلى دمشق تأتي في إطار تعزيز العلاقات مع دول الجوار من منطلق عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وأكد الاخير أن رئيس الوزراء سيناقش تعاون البلدين فيما يخص الملف الأمني، خصوصا بوجود حدود مشتركة بين الطرفين. مؤكداً على عزم الحكومة وقف جميع التدخل الخارجي في شؤون العراق[28]. أما السيد رئيس الوزراء فقد صرح أن زيارته القادمة لدمشق تعكس رغبة مشتركة لدى البلدين لضم آفاق سياسية واقتصادية وأمنية بينهما، وخلال لقاء السيد رئيس الوزراء مع الرئيس السوري بشار الأسد في دمشق في 18 اب 2009. شدد رئيس

الوزراء على أهمية تعزيز العلاقات مع سـوريا، مبينا إنه خيار تفرضــه الرغبة المشـتركة لدى الشـعبين، وأكد حرصــه على التعاون في جميع المجالات، وتقوية العلاقات مع سـوريا ومع جميع الدول العربية. من جهته أكد الرئيس الســـوري دعم بلاده للعراق في كل ما من شـأنه تعزيز أمنه واستقراره والحفاظ على وحدته أرضـا وشـعبا، وإنجاح العملية السياسية، والجهود التي تبذلها حكومة الوحدة الوطنية.[29]

أسـفرت مباحثات السـيد رئيس الوزراء مع الرئيس السـوري بشـار الأسـد ورئيس وزرائه محمد ناجي العطري عن تأسيس مجلس التعاون الاستراتيجي ،والذي عدته صحيفة الدولة الرسمية بأنه شراكة لمكافحة الإرهاب وتعزيز التعاون في شتى المجالات.

قدر تعلق الامر بنص الإعلان المشترك لتأسيس مجلس تعاون استراتيجي بين بغداد ودمشق ، اذْ اتفق الطرفان على المسائل الاتية :- [30]

أ - التعاون في المجالات السياسية والدبلوماسية.

1. إبرام اتفاقات تسهم في اقامة روابط اقوى بين البلدين.
2. تكثيف التشاور والتعاون حول المسائل الإقليمية ذات الاهتمام المشترك لكلا البلدين.
3. عقد مشـاورات سـياسـية دورية على مسـتوى معاوني وزراء الخارجية واعداد اتفاق يؤسس لذلك.
4. التعاون والتنسيق بين ممثلي البلدين لدى المنظمات الإقليمية والدولية.

ب - التعاون في مجالات الاقتصاد والنقل، والطاقة، والشؤون المالية ،والمياه.

1. توسيع التعاون في مجال الطاقة وفي كل المجالات الممكنة وتأسيس شراكات مختلفة بين الشركات السورية والعراقية.
2. تأمين نقل النفط والغاز الطبيعي الى الأسواق العالمية عبر سوريا.
3. تعزيز التعاون لزيادة العلاقات التجارية لما فيه المصلحة المشتركة للبلدين.
4. تشـجيع شـركات القطاع العام والخاص لزيادة التعاون في مجالات الاسـتثمار في كلا البلدين ودفع العلاقات التجارية بينهما.
5. دعم التعاون في المجال المصرفي وتشجيع المشاريع المشتركة للقطاعات الخاصة.
6. دعم التعاون في مجال طرق النقل البري من خلال ازالة الرســوم المفروضــة على النقل الثنائي وإقامة محطات مشتركة لتحقيق هذا الهدف.
7. تعزيز النقل بالسكك الحديدية وتحديث الخطوط الحديدية وتحسينها.
8. تحسين التعاون في مجالات الطيران المدني والحركة الجوية.

9. تشجيع التعاون لزيادة السياحة وتسهيل إجراءات السفر بين البلدين.
10. تحديث بوابات العبور بين البلدين وفتح معابر حدودية جديدة والسعي لإقامة بوابة حدودية مشتركة في كل المعابر تتم إدارتها من قبل الطرفين بهدف تسريع العمليات الجمركية والاجراءات الادارية.
11. التعاون والتنسيق لتأمين الاحتياجات في مجالات المياه والري وتنمية الموارد المائية في كلا البلدين.

ج - التعاون في مجالات الثقافة والتعليم والعلوم.

1. تشجيع تبادل الطلبة والأكاديميين والخبراء والتعاون بين الجامعات ومؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في البلدين وتطوير برامج لهذا الغرض.
2. تشجيع التبادل الثقافي على المستويات كافة.

د - التعاون في مجالات الأمن والتعاون العسكري.

1. تطوير العلاقات في المجالات العسكرية والاتفاق على إطار لهذه العلاقات يشمل التدريب والتعاون العلمي الفني في المجال العسكري وآلية للحوار العسكري عالي المستوى.
2. تعزيز وتوسيع التعاون الأمني.
3. تطوير شراكة استراتيجية في مكافحة الارهاب.

كان من الواضح ،إن مسألة الأمن السبب الأساس لتلك الزيارة، وكان محور الأمن هو الذي طغى في مباحثات الجانبين العراقي والسوري [31]، وأن السيد رئيس الوزراء قدم أسماء المطلوبين للحكومة العراقية من ساسة وعسكر النظام السابق، تجاه هذا الطلب اعتذر السوريون عن تنفيذ طلب رئيس الوزراء، وأكدوا أن وجود هؤلاء لا يختلف عما كان عليه الحال حينما كانوا في صفوف المعارضة ضد النظام السابق[32]، واعتقدت بعض المصادر الإعلامية أن الترتيبات الامنية لإقامة خزانات على طرفي الحدود بين البلدين، هي بمثابة الجزرة التي قدمتها الولايات المتحدة للحكومة السورية من أجل زيادة الترتيبات الأمنية على الحدود بين العراق وسوريا.[33]

ولنا أن نتساءل كيف نفسر العداء السوري للنظام السياسي الجديد؟ لقد كانت تفجيرات 11 أيلول/ سبتمبر 2001 [34] نقطة تحول مهمة في السياسة الخارجية الأمريكية، وتمحورت سياستها الجديدة، على ضرب العدو في عقر داره، لذا أعلنت سياسة حازمة وصارمة تجاه الأنظمة السياسية التي أسمتها (المارقة) وكان العراق وسوريا على رأس تلك الدول، ولذا اعتقدت الإدارة الأمريكية، وبضغط من (المحافظين الجدد)[35] على أن الأمن الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط يستوجب إسقاط النظام الديكتاتوري في العراق،

وأن التواجد العسكري الأمريكي سيتجاوز مسألة إسقاط صدام ونظامه، ومن هنا ولدت المخاوف السورية من أن المشروع الأمريكي، لدمقرطة العراق، سيجعل سوريا الثانية على قائمة التغيير، ومن ثم ترى الولايات المتحدة بأن الدعم الذي تقدمه سوريا للجماعات الإرهابية لعبور حدودها صوب العراق لمقاتلة القوات الأمريكية، سيساهم في إفشال المشروع الأمريكي في العراق، وسينتج عنه تأخر تصدير المشروع الأمريكي الى سوريا.

أبلغ رئيس الوزراء السفير كروكر بتفاصيل زيارته إلى دمشق في 18 آب، وتحدث بصراحة وأمانة للجانب السوري، وأبلغ رغبة حكومته في علاقات ثنائية أكثر تعاوناً، بدأً بتقوية العلاقات التجارية والاقتصادية، واتفق الجانبان على التعاون الاقتصادي، وأعرب رئيس الوزراء عن أمله في أن يكون لذلك تأثير إيجابي على حجب دعم دمشق لعناصر من حزب البعث العراقي المحظور، وحث سوريا على التعاون في القبض على المتورطين في الأنشطة المناهضة للحكومة[36].

أثار السفير الأمريكي رغبة الولايات المتحدة في إجراء تقييم ثلاثي للحدود العراقية السورية، وضغط على رئيس الوزراء للسماح للحكومة العراقية بالمشاركة، وتعليقاً على عدم ارتياحه للاجتماع الأخير بين الولايات المتحدة وسوريا في دمشق، اذْ سبق أن انتقد المتحدث الرسمي للحكومة العراقية السيد علي الدباغ قيام وفد أمني أمريكي بإجراء مباحثات في دمشق تتعلق بالوضع الأمني في العراق، مبيناً أن رئيس الوزراء يسعى إلى حل مشكلة تسلل الإرهابيين الأجانب إلى البلاد.[37]

أبلغ السيد رئيس الوزراء السفير أن العراق سيشارك في اللجنة الحدودية الثلاثية القادمة بسبب الاهتمام الشديد بهذا من واشنطن ودمشق، لكنه **[أي رئيس الوزراء]**أوضح أن العراق لن يشارك في أنشطة ثلاثية أخرى، علاوة على ذلك، أيد السيد رئيس الوزراء باستمرار الحوار الثنائي بين الولايات المتحدة وسوريا، وسعى للحصول على تأكيدات بأن الولايات المتحدة لن تصر على جعل القضية ثلاثية.[38]

حيال رد السفير لنية الولايات المتحدة في متابعة التعاون الثلاثي، وبَخّ رئيس الوزراء بهدوء، السفير كروكر، قائلاً:**" نلومك قليلاً على فعل أشياء مع السوريين، لم نكن على علم بها"**، وذكر رئيس الوزراء في معرض حديثه عن عدم استطاعته فهم الأساس المنطقي للترتيب الثلاثي، ولا سبب ربط قضية الحدود بجهود السلام الأوسع في الشرق الأوسط، والربط بينهما سيمكن سوريا **"من الإفلات من أشياء كثيرة"**، وفضل رئيس الوزراء تعامل العراق مباشرة مع السوريين في تلك القضية. وأضاف رئيس الوزراء إن أصرار السوريين على إجراء مباحثات ثلاثية لأن ذلك في مصلحتهم. وأشار إلى أنه أخبر السوريين أنهم بصفتهم دولتين ذات سيادة، فينبغي على البلدين التعاون مع قضية الحدود العراقية السورية بشكل ثنائي.[39]

قدر تعلق الأمر بالموقف الأمريكي من انفجار الأربعاء الدامي فقد عبر السفير الأمريكي كروكر عن تعازيه لعوائل الشهداء في لقائه مع السيد رئيس الوزراء في 19 آب. 2009، واتصل نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن (Joe Biden) برئيس الوزراء العراقي، وأعرب عن تعازي الولايات المتحدة الأمريكية للشعب العراقي.[40]

وصف المتحدث باسم الخارجية الأمريكية رايان جليها (Ryan Gliha)[41] تلك التفجيرات :" **إنها عمل جنوني، نفذه متطرفون مصممون على إشاعة الفوضى، وقال أن هذه الهجمات الإرهابية إنما هي محاولة لتقويض التقدم، الذي عملت المؤسسات وقوات الأمن العراقية جاهدة على تحقيقه"** وشدد في الوقت نفسه على ثقة واشنطن بأن مثل تلك الهجمات لن تنجح في ردع العراقيين من مواصلة جهودهم لبناء مجتمع سلمي.[42] إلى ذلك، أكد المتحدث باسم البيت الأبيض روبرت غيتس،**" إن الولايات المتحدة لا تزال، عند رأيها، أن القوات العراقية قادرة على ضمان الأمن في العراق "**[43]

وعلى أية حال، فقد أكد السفير كروكر للمالكي دعم الولايات المتحدة الأمريكية للعراق في مواجهة هذه الهجمات الإرهابية.[44]

ايدت الولايات المتحدة بقوة إدانة مجلس الأمن الدولي للهجمات الأخيرة في بغداد والصادر يوم 18 آب 2009، والذي جاء على لسان رئيس مجلس الأمن وقتذاك السفير البريطاني جون ساورز(John Sawerze).[45]، والذي أوضح أن أعضاء مجلس الأمن الدولي قد أكدوا مجددا دعمهم للعراق، حكومةً وشعباً، فضلا عن التزامهم بأمن العراق.[46]

وعلى صعيد آخر، ندد الاتحاد الأوروبي بالتفجيرات التي هزت بغداد، فقد أصدرت السويد، التي ترأس الدورة الحالية للاتحاد في 18 آب. بيانا أدانت فيه الهجمات التي تعرض لها العراق خلال الأسبوعين الماضيين، معبرين عن تضامنها مع عائلات الضحايا وتعاطفها مع الحكومة والشعب العراقيين في هذا الوقت الصعب.[47]

لم يتردد السفير الأمريكي في إبلاغ السيد رئيس الوزراء باستعداد الولايات المتحدة للنظر في أي مساعدة قد تطلبها حكومة العراق، وذكر كروكر أن الولايات المتحدة حثت جيران العراق على الإعراب عن غضبهم حيال تلك التفجيرات.[48]

شرح رئيس الوزراء للسفير الأمريكي، إن العمليات نفذها انتحاريون، وادعى السيد رئيس الوزراء أن الانفجار الذي وقع في فندق الرشيد كان مقصوداً شخصه، إذْ كان من المقرر حضوره مؤتمر هناك، واستناداً إلى التقارير الاستخباراتية، التي اطلع عليها، قال إنه يتوقع وقوع هجمات مماثلة في المرحلة المقبلة، كانت قوات الأمن العراقية قد عثرت بالفعل على كميات كبيرة من مركبات C4 ومركبات مشبوهة.[49]

وعلى أية حال، فإن رئيس الوزراء أعلم السـفير كروكر في الاجتماع الذي عقده بينهما في 19 آب، إنه التقى قبل تفجيرات 18 آب، الوزراء الأمنيين وأمرهم باتخاذ إجراءات استثنائية، ونتيجة لذلك تم اعتقال عدد من المشتبه بهم. وانتقد رئيس الوزراء برنامج الإفراج عن المعتقلين من سجن (بوكا). قائلاً:" **إن بعض المعتقلين المفرج عنهم في الولايات المتحدة كانوا أصلا إرهابيين مدربين تدريبا عالياً، لهذا السبب، طلب قادة الأمن في حكومة العراق من الإدارة الأمريكية تأجيل إطلاق سراح المعتقلين، على الرغم من الضغوط السياسية من بعض الأطراف للمضي قدما في عمليات الإفراج"**[50].

وفي السياق نفسه، التقى السفير كروكر بوزير الخارجية العراقي زيباري، سأل السفير وزير الخارجية كيف تعاملت وزارة الخارجية مع تداعيات التفجيرات، وتباحث السفير الأمريكي مع السيد زيباري في السبل التي يمكن أن تساعد الإدارة الأمريكية وزارة الخارجية دون تقديم التزامات محددة، أكد السفير الأمريكي على وجود متخصصين من القوات متعددة الجنسيات في العراق قادرة على العمل مع أطباء عراقيين في بعض الحالات الأكثر خطورة. وأكد نائب قائد القوات الامريكية ان أي مساعدة يمكن أن تكون متاحة من قبلهم. وأبلغ أن وحدة مهندسي الجيش الأمريكي يمكن أن تعمل مع نظرائهم العراقيين لإجراء تقييم الأضرار الهيكلية لمبنى وزارة الخارجية، وفي الوقت نفسه، سأل كروكر زيباري عن حالة معدات الاتصالات في وزارة الخارجية، مع إشارة مرة أخرى إلى أنه لم يكن يقدم وعوداً في هذه المرحلة، طلب السفير من وزير الخارجية تجميع قائمة ببعض الاحتياجات الأكثر إلحاحا للوزارة، واعرب وزير الخارجية عن تقديره للإدارة الأمريكية لنقل حوالي (30) مريضاً مصاباً بجروح خطيرة إلى ألمانيا، إذا اتفقت الحكومتان الألمانية والإسبانية على توفير الرعاية الطبية.[51]

وعلى صعيد ذي صلة، أشاد رئيس الوزراء بفريق الخبراء الأمريكيين الميدانيين الذين يقدمون المساعدة الفنية والتعاون لسلطة الحكومة العراقية التي تحقق في التفجير[52]

وفي السياق نفسه، استقبل نائب الرئيس العراقي عادل عبد المهدي المستشار لشؤون السياسة في السفارة الأمريكية ببغداد جيري كرايد، واتفق الجانبان على ضرورة القيام بجهد دبلوماسي مكثف من أجل مساعدة العراق في حربه ضد العنف والإرهاب، وحماية المواطنين من الهجمات الإرهابية، وتفعيل مشروع ملاحقة ومحاكمة مرتكبي الجرائم في العراق ومقاضاتهم في المحاكم الدولية.[53]

الخاتمــة :

عند استعراضنا العلاقات العراق مع سوريا نجد أن للأخيرة أجندة خاصة تحاول تنفيذها في الشأن العراقي ، .

شكل احتلال العراق عام ٢٠٠٣ نقطة تحول في المنطقة ، ولاسيما أن بعض الدول عدته تهديدا استراتيجيا لها . فسوريا وجدت في دخول الولايات المتحدة إلى العراق فقدانها لعمقها الاستراتيجي ، خاصة وأن العلاقات بينها وبين العراق قد أخذت بالتحسن على الأصعدة كافة قبل الإطاحة بالنظام العراقي السابق ، مما دفعها إلى إدراك حجم الخسارة التي منيت بها جراء الوجود الأمريكي في العراق ، ومن ثم محاولة التعامل معه من خلال انتهاج واحد من أكثر التوجهات خطورة والذي يتمثل في محاولة الإطاحة بالمشروع الأمريكي في العراق ، رغبة منها في تحصين وضعها الداخلي من خلال افتعال كل ما يقيد ذلك المشروع لتأكيد قناعة لديها بعدم رغبتها في أن تكون محاطة ضمن بيئة إقليمية معادية (اسرائيل) من جهة و الولايات المتحدة في العراق من جهة أخرى ، فضلا عن رغبتها في تحقيق مصالحها في العراق بعيدا عن التدخلات والضغوطات الأمريكية ، والتي تشمل فضلا عن أبعاد تأثير الوجود الأمريكي تحقيق مصالحها الاقتصادية في العراق ، كل ذلك يبرز توجهات الاستراتيجية السورية في مرحلة ما بعد الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ .

والذي عكس رغبة سوريا في تأكيد تعريف دورها في العراق والذي يواجه تحديات كبيرة ولاسيّما مع تصاعد أزمة العلاقات بين بغداد و دمشق على أثر اتهام العراق لسوريا بدعم الإرهاب وعدم الاستقرار في العراق من ناحية ، ومن ناحية ثانية تجد سوريا في تطور مسار العلاقة بين الولايات المتحدة و العراق تحديا واضحا ولا سيّما مع إمكانية تحول العراق حليف استراتيجي للولايات المتحدة في المنطقة، وإمكانية في إدارة شؤون المنطقة مستقبلا إذا ما أسند من قبل الولايات المتحدة.

المصــادر :

1 محمود فاضل حمود ، عباس هاشم عزيز ، تأثير المتغير العسكري الأمريكي في الواقع الأمني لمنطقة الخليج العربي بعد عام ٢٠٠٣ ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، العدد ٦٤ ، كانون الأول ٢٠٢٢،ص144.

2 منتهى طالب سلمان ، سياسة الاحتلال الأمريكي تجاه اليابان ١٩٤٥-١٩٥١ والعراق٢٠٠٣-٢٠٠٨ دراسة تاريخية مقارنة ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، العدد٢ ، سنة٢٠١٤ ، ص٤١٥.

3 لبنى خميس مهدي الربيعي ، الاستراتيجية السورية تجاه العراق بعد عام٢٠٠٣ ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، العدد٢٢ ، سنة٢٠١١ ، ص٦.

4 خميس حزام والي ، تداول السلطة في العراق بعد عام٢٠٠٣ ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، العدد٥٣ ، سنة٢٠١٧ ، ص٧٨.

5 دنيا جواد ، الإرهاب في العراق دراسة في الأسباب الحقيقية دراسة تحليلية لأسباب الإرهاب في العراق..... ومتغيراته الاجتماعية والسياسية ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، العدد٤٣ ، سنة٢٠١١ ، ص١٤٠.

6 يوم الأربعاء الأســود:- أطلق تلك التســمية على أثر ثلاث عمليات إرهابية في يوم الأربعاء، 17 آب 2009 اســتهدفت وزارتي الخارجية والمالية وسوقا شعبية في منطقة البياع وأسفر الانفجار عن سقوط 83 شهيدا وإصابة 1203 مواطنين بجراح. للمزيد ينظر: جريدة البيان، بغداد، 18- آب -2009.

7 جريدة الحياة، لندن، 15 آب 2007.

8 جريدة الزمان، بغداد، 16 آب 2007.

9 جريدة الصباح، بغداد، 21 آب 2007.

10 جريدة الاخبار، بيروت، 22 آب 2007.

11 جريدة الثورة، دمشق، 21 آب 2007.

12 محمد ناجي العطري :-(ولد: 1944، حلب -) مهندس وسياسي سوري كان رئيس وزراء سوريا في الفترة ما بين العام 2003 إلى العام 2011، حصـــل على بكالوريوس في الهندســـة المعمارية من جامعة حلب عام 1967 على دبلوم في التخطيط الحضري من هولندا. وهو يجيد اللغتين الفرنسية والإنكليزية، ترأس العطري مجلس المدينة في حلب من 1983 إلى 1987 وهو محافظ سابق لحمص. وكان رئيساً لنقابة المهندسين في حلب في الفترة من 1989 إلى 1993. وهو عضو قديم في حزب البعث السوري الحاكم. في آذار 2000 أصبح عضواً في اللجنة المركزية لحزب البعث. في آذار 2000 تم تعيينه أيضًا نائباً لرئيس الوزراء لشؤون الخدمات، وقد خدم في هذا المنصب حتى عام 2003. انتخب رئيساً للبرلمان السوري في آذار 2003 للمزيد ينظر:- محمد ناجي العطري /https://ar.wikipedia.org/wiki.

13 جريدة تشرين، دمشق، 21 آب 2007.

14 جريدة الصباح، بغداد، 21 آب 2007.

15 ياسين مجيد ، الثمان الصعبة ، ص273.

16 W.F.R.U.S,2007, Syria - Iraq, Lebanon, Palestinian territories, Peace conference, 22 Aug 2007.

17 للمطابقة مع الوثيقة. ينظر:- جريدة تشرين، دمشق، 22 آب 2007.

18 جريدة الثورة، دمشق، 22 آب 2007.

19 للمطابقة مع الوثيقة الامريكية نفسها ينظر:- جريدة الوطن، دمشق، 22 آب 2007.

20 للمطابقة مع الوثيقة الامريكية نفسها ينظر:- جريدة الثورة ، دمشق، 22 آب 2007.

21 نيكولا ســاركوزي(Nicolas Sarkozy) (28 كانون الثاني 1955 -)، رئيس الجمهورية الفرنســية في المدة من 16 أيار 2007 حتى 15 أيار 2012، حصل على البكالوريا في عام 1973. هو وزير داخلية فرنسي سابق ورئيس حزب الاتحاد من أجل حركة شعبية. استطاع أن يربح بالانتخابات الفرنسية بنسبة 53.2 % من أصوات الناخبين الفرنسيين وذلك بتاريخ 6 أيار 2007 ليصبح رئيسًا للجمهورية الفرنسية خلفًا للرئيس جاك شيراك. واستلم مهامه رسميًا بتاريخ 16 أيار 2007. ثم خســر في انتخابات 6 أيار 2012 أمام فرانســوا أولاند ليكون أول رئيس فرنســي لا يفوز بفترة رئاســية ثانية منذ عام 1981. للمزيد ينظر :- ساركوزي./https://ar.wikipedia.org/wiki

22 برنار كوشنار(Bernard Kouchner) :- (1 نوفمبر 1939 -)، هو طبيب فرنسي من مؤسسي منظمة أطباء بلا حدود. شغل منصب وزير خارجية فرنسا في حكومة فرنسوا فيون. ولد في أفينيون، عمل كسكرتير دولة مكلف بالإدماج الاجتماعي في عام 1988 ثم سكرتير دولة مكلف بالأعمال الإنسانية من عام 1988 وحتى عام 1992. شغل منصب وزير الصحة والعمل الإنســاني من عام 1992 وحتى عام 1993. من عام 1997 وحتى 1999 عمل ســكرتير دولة مكلف بشــؤون الصحة وعيّن وزيرًا منتدبًا لشؤون الصحة من عام 2001 وحتى عام 2002. يشغل حاليا منصب وزير خارجية فرنسا. للمزيد ينظر: موقع الويكيبيديا برنار كوشنار./https://ar.wikipedia.org/wiki

23 للمطابقة مع الوثيقة الامريكية نفسها ينظر:- جريدة الثورة ، دمشق، 22 آب 2007.

24 المصدر نفسه.

25 جريدة النهار ، بيروت، 24 آب 2007.

26 جريدة السفير ، بيروت، 24 آب 2007.

27 جريدة الصباح ، بغداد، 15 آب 2009.

28 جريدة الصباح ، بغداد، 15 آب 2009.

29 جريدة البيان ، بغداد، 19 آب 2007.

30 جريدة البيان، بغداد،العدد 1753، 19 آب 2009.
31 جريدة المشرق ، بغداد، 25 آب 2007.
32 جريدة الشرق الاوسط ، لندن، 6 ايلول 2009.
33 جريدة السفير ، بيروت، 23 آب 2007.
34 تفجيرات 11 أيلول/ سبتمبر 2021 /تعريف او إحالة المصدر.
35 لمزيد من التفاصيل عن المحافظين الجدد. ينظر صباح عبد الرزاق كبه، المحافظون الجدد والدعوة لهيمنة القوة العسكرية الامريكية عالمياً، مجلة العلوم السياسية/ جامعة بغداد، العدد 57 ،2019. ص 23- 34، اميمة عبد اللطيف، المحافظون الجدد: قراءة في خرائط الفكر والحركة، مكتبة دار الشروق، القاهرة، 2003، ص 200.
36 W.F.R.U.S.,2009, Prime Minister al-Malike on the Tripartite Security efforts,19 Aug 2009.
37 جريدة الصباح ، بغداد، 15 آب 2009.
38 W.F.R.U.S.,2009, Prime Minister al-Malike on the Tripartite Security efforts,19 Aug 2009.
39 W.F.R.U.S.,2009, Prime Minister al-Malike on the Tripartite Security efforts,19 Aug 2009.
40 Ibid.
41 رايان جليها:- دبلوماسي امريكي ، هو دبلوماسي أمريكي بارز انضم إلى السلك الدبلوماسي في عام 2002 كضابط خدمة خارجية متخصص في الدبلوماسية العامة. خدم في مناصب عدة منها ممثل الولايات المتحدة لدى منظمة التعاون الإسلامي وقنصل عام الولايات المتحدة في جدة، السعودية. كما شغل مناصب في بيروت واليمن وقطر ولندن. حصل على درجة البكالوريوس في الدراسات الدينية من جامعة ولاية أريزونا ودرجة الماجستير في الدراسات الدينية من جامعة بنسلفانيا. يجيد عدة لغات منها العربية والفرنسية والأوزبكية والفارسية.لمزيد من التفاصيل، يمكنك زيارة موقع جامعة بيركلي https://career.berkeley.edu/about-us/meet-our-team/ryan-gliha/.
42 جريدة السفير ، بيروت، 19 آب 2009.
43 جريدة القدس العربي ، لندن، 19 آب 2009.
44 W.F.R.U.S.,2009, Prime Minister al-Malike on the Tripartite Security efforts,19 Aug 2009.
45 جون ساورز:- السير روبرت جون ساورز (من مواليد 26 يوليو 1955) هو ضابط مخابرات بريطاني ودبلوماسي وموظف مدني. كان رئيسًا لجهاز المخابرات السرية(MI6) ، وهو المنصب الذي شغله من نوفمبر 2009 حتى نوفمبر 2014 وكان سابقًا الممثل الدائم لبريطانيا لدى الأمم المتحدة من أغسطس 2007 إلى نوفمبر 2009، مولود في وارويك، نشأ ساورز في أسرة مكونة من خمسة أطفال في باث وتلقى تعليمه في مدرسة مدينة باث للبنين وهو سليل عائلة ستراتفورد التاريخية من خلال جدته لأمه. درس الفيزياء والفلسفة في جامعة نوتنجهام، ثم أمضى فترات في جامعات سانت أندروز و ويتووترسراند وهارفارد. للمزيد ينظر.https://en.wikipedia.org/wiki/John_Sawers :-
46 جريدة الشرق الاوسط ، لندن، 19 آب 2009.
47 جريدة الاهرام ، القاهرة، 19 آب 2009
48 W.F.R.U.S.,2009, Prime Minister al-Malike on the Tripartite Security efforts,19 Aug 2009.
49 Ibid.
50 W.F.R.U.S.,2009, Prime Minister al-Malike on the Tripartite Security efforts,19 Aug 2009.
51 W.F.R.U.S.,2009, Foreign Minister Zebari about the participation of the tripartite and the political point of the bombings ,16 Aug 2009.
52 W.F.R.U.S.,2009, Prime Minister al-Malike on the Tripartite Security efforts,19 Aug 2009.
53 جريدة الصباح ، بغداد، 26 آب 2009.